اللغة العربية وآدابـها

صور من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب في

((تفسير الكشاف))

إعـــداد

الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي

جامعة تعز

ملخص البحث

يتناول هذا البحث صورًا من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب من خلال تفسير الكشاف، والمقصود من (اتساع دلالتها) أن العبارة الواحدة أو اللفظة الواحدة قد تتسع لأكثر من معنى . وقد يؤتى بها لأجل أن تجمع أكثر من معنى، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فبدلاً من أن يطيل المتكلم الكلام ليجمع معنيين أو أكثر من المعاني المطلوبة يأتي بعبارة واحدة تجمع المعاني كلها، فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى .

فالصوم قد يدل على الامتناع عن المفطّرات والامتناع عن الكلام، فإذا قلت: (فلان صائم) وعنيت بذلك أنه ممسك عن المفطّرات وعن الكلام كان ذلك من باب التوسع في دلالة اللفظة.

وفي القرآن الكريم قد تمر بنا آيات قرآنية تحتمل أكثر من معنى،فيؤتى بها في القرآن لأجل أن تجمع المعاني كلها بأوجز عبارة .

وقد اخترت (تفسير الكشاف) للزمخشري (ت٥٣٨هـ) لكي أقف من خلاله على صور من التوسع في المعنى في الألفاظ والتراكيب، وسبب اختياري هذا التفسير دون غيره أني رأيت أن الزمخشري من أوائل المفسرين الذين عُنوا بهذه الظاهرة وذكروا صورها أثناء تفسير الآيات القرآنية .

وقد توصلت إلى أن هناك صورًا كثيرة لاتساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف، فقد يكون التوسع في معنى اللفظة، وقد يكون في صيغتها، وقد يكون في معنى الجملة . . . إلى غير ذلك من الصور التي ورد ذكرها في البحث .



مقدمة :

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فمن المعروف أن تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) يعدّ من أهم كتب التفسير المعنيّة بإظهار الجوانب اللغوية والبلاغية في الآيات القرآنية وأقدمها.

وقد دُرِس الكشاف دراسات كثيرة لعل أبرزها (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري) للدكتور محمد أبي موسى، و(منهج الزمخشري في تفسير القرآن) للدكتور محمد صادق الجويني، و(أثر البلاغة في تفسير الزمخشري) للدكتور عمر الملا حويش، وغيرها من الدراسات.

أما الجانب الذي سأتناوله في بحثي هذا فهو (صور من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف). وسبب اختياري (الكشاف) لبحث هذه الظاهرة أن الزمخشري من أوائل المفسرين الذين عُنوا بذكر الأوجه المحتملة لمعاني الآيات القرآنية في حدود ما أعلم، فقد يذكر أكثر من دلالة تحتملها الآية القرآنية كلها مرادة مقصودة.

وإذا كان الدكتور فاضل السامرائي قد أفرد مبحثًا عنوانه (التوسع في المعنى) في كتابه (الجملة العربية والمعنى) فإن الفرق بين دراستي ودراسته أن الدكتور فاضلاً أراد أن يلفت نظر

القارئ إلى وجود هذه الظاهرة في العربية فذكر طرفًا من مواطن التوسع بإيجاز[١].

أما مادة بحثي فهي مستقاة من تفسير الكشاف، ولذا وقفت على صور لم يرد ذكرها في مبحث (التوسع في المعنى) مثل (تعدد احتمالات مرجع الضمير) و (الاتساع في معاني حروف الجر) وغيرهما.

وفي الصور المشتركة هناك أمثلة كثيرة مذكورة في هذا البحث لم يرد ذكرها أيضًا في التوسع في المعنى، وهذا طرف منها:

في موضوع (الألفاظ المشتركة) مثلاً انفرد بحثي بذكر الألفاظ (فوقها) في ﴿فَمَا فَوْقَهَا ﴾، و (وزيرًا) في ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا ﴾، و(الكوثر) في ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾، وفي موضوع (الصيغ المختلفة) انفرد بذكر الكلمات (كُرْه) في ﴿وهو كُرْه لكم ﴾، و (الأمين) في ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾، و(القصص) في ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾. وقس على ذلك باقي الموضوعات.

وقبل أن أبدأ في دراسة صور الاتساع في التفسير مهّدت لدراستي هذه تمهيدًا مختصرًا عرّفت فيه بمفهوم التوسع وقول العلماء فيه، ثم شرعت في دراسة صور اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب التي ذكرت في الكشاف.

ومنهجي في البحث أن أذكر الآية القرآنية ثم أتبعها بذكر رأي الزمخشري ثم باقي الآراء. وليس من منهجي استقراء الآيات التي تتعلق بكل صورة لئلا يطول بنا البحث.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

والحمد لله رب العالمين

توطئـــة :

مما لاشك فيه أن في اللغة العربية دقةً متناهية في تراكيبها، وسعة في استعمالها تفتقر إليها كثير من اللغات، ومن صور سعتها في التعبير أننا نجد أن العبارة الواحدة قد تحتمل أكثر من معنى، وقد يأتي بها المتكلم لأجل أن يجمع المعاني كلها بأوجز أسلوب، فهو يوجز في التعبير ويوسّع من دلالته.

مثال ذلك أنك قد تنيب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة صفته لأجل أن توسّع معنى العبارة، بمعنى أنك بحذفك هذا جعلت التعبير يحتمل معنًى جديدًا لم يكن ذكر المصدر ليفيده ولا يحتمله، وذلك نحو قولك: (مشيت كثيرًا) فكلمة (كثيرًا) يحتمل أن يراد بها الدلالة على المصدر، أي : مشيًا كثيرًا، ويحتمل أن تكون نائبًا عن الظرف، أي : زمنًا كثيرًا. فإذا أردت المعنيين معًا أي المشي الكثير والزمن الكثير كان ذلك من باب الاتساع في الدلالة، وإذا أردت الحدث وحده قلت: (مشيت مشيًا كثيرًا)، أو الزمن وحده قلت: (مشيت زمنًا كثيرًا) فالتعبير في هذه الحالة لا يحتمل أكثر من معنى واحد كما هو واضح.

ومن ذلك أن تستعمل اسمًا موصولاً بدلاً من اسم موصول آخر لتتسع دلالة الجملة،مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾{هود٧٩} فـ (ما) في هذه الآية تحتمل الموصولية الاسمية، أي : الذي نريده، فيكون العائد محذوفًا، وتحتمل الموصولية الحرفية، أي : لتعلم إرادتنا، وتحتمل الاستفهامية، أي : ما الذي نريده ؟ والمعاني الثلاثة مرادة مطلوبة.

ومن التوسع أيضًا أن يحتمل التعبير أن يكون خبريًّا وإنشائيًّا نحو قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ {الهمزة١} فهذا التعبير يحتمل أن يكون خبريًّا ودعائيًّا،فقد يحتمل أنه أخبر بما سيلاقونه من عقوبة في الآخرة بسبب همزهم ولمزهم، ويحتمل أن يراد الدعاء عليهم بالويل والهلاك،والمعنيان مرادان،فقد دعا عليهم بالعذاب الشديد،كما أنه أخبر بما سيصيبهم ما دعا عليهم به .

وقد لفت نظرَ علمائنا القدامى هذه الظاهرة فذكروها في مصنفاتهم، فهذا ابن جني المتوفى سنة٣٩٢هـ يقول في كتابه (الخصائص) في (باب اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما

أقوى من صاحبه أيجازان جميعًا فيه أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟) : ((اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهبًا، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مرادًا ومقبولاً، من ذلك قوله :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فالقول أن يكون (ناهيا) اسم فاعل من (نهيت) كـ(ساعٍ) من (سعيت) و (سارٍ) من (سريت)، وقد يجوز مع هذا أن يكون (ناهيا) هنا مصدرًا كالفالج والباطل والعائر والباغز ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على (فاعل) حتى كأنه قال : كفى الشيب للمرء نهيًا وردعًا، أي: ذا نهي، فحذف المضاف وعلّقت اللام بما يدل عليه الكلام))[٢].

ويقول في (باب توجّه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين): إن اللفظة قد تأتي على صورة ويحتمل أن يراد بها غيرها كقوله :

وغلتْ بهم سجحاء جارية تهوي بهم في لجة البحر

فيحتمل أن يكون (وغلتْ) فعلتْ من التوغّل، ويحتمل أن تكون الواو عاطفة (من الغليان)[٣].

كما أن هذه الظاهرة قد لفتت نظر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فقد ذكرها في أثناء كلامه على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ ﴾{الأنعام١٠٠} فذكر أن هذا التعبير يفيد معنى أنهم جعلوا الجنَّ شركاءَ لله، ويفيد معه معنى آخر وهو إنكار أن يكون لله شريك من الجن وغيرهم. ولو قال: (وجعلوا الجن شركاء لله) لما أفاد إنكار أن يكون لله شريك، وإنما أنكر أن يكون الجن شركاء لله، فلو كان غيرهم شريكًا له لم يستنكر ذلك.

ثم يعلّق على ذلك بقوله:((فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قُدّم (الشركاء) واعتبرْه، فإنه ينبّهك لكثير من الأمور، ويدلّك على عظم شأن النظم، وتعلَم به كيف يكون الإيجاز به وما صورته ؟ وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ))[٤].

وتبدو هذه الظاهرة جلية في آي الذكر الحكيم، فقد يذكر القرآن لفظة بعينها لتشمل أكثر من دلالة، وقد يذكر تركيبًا بصورة معينة ليحتمل أكثر من معنى.

وإليك صورًا من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف.

أولاً : الألفاظ المشتركة :

في اللغة العربية ألفاظ تشترك في عدة معانٍ،كالعين التي تطلق على العين الباصرة وعلى عين الماء وعلى الجاسوس، والقرء الذي يطلق على الحيض والطهر، والجون الذي يطلق على اللونين الأبيض والأسود، وغير ذلك.

وقد تمر بنا عبارات تحتمل ألفاظها أكثر من معنى، فيتسع معنى العبارة باتساع معنى اللفظة.

وفي القرآن الكريم آيات تتسع ألفاظها لتشمل أكثر من دلالة، فيتسع معنى التركيب باتساع معنى ألفاظها، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾{البقرة٢٦}.

فقد ذهب الزمخشري إلى أن قوله : ﴿ فما فوقها ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى ما تجاوزها وزاد عليها في الصغر والحقارة. ويحتمل أن يكون بمعنى ما زاد عليها في الحجم كالذباب والعنكبوت[٥] مشيرًا إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّه لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾{الحج٧٣} وقوله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾{العنكبوت٤١}.

وعلى المعنى الأول يذهب الزمخشري مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) الذي قال: ((فما فوقها: فما دونها في الصغر)) [٦].

وذهب أبو حيان (ت٧٤٥هـ) إلى ما ذهب إليه الزمخشري فنقل في تفسيره كلامًا مشابهًا لما ذكره الزمخشري في كشافه[٧].

أما الفراء (ت٢٠٧هـ) فهو يميل إلى المعنى الثاني ـــ وهو الزيادة في الحجم ـــ ولا يستحسن المعنى الأول، فكأنّ البعوضة غاية في الصغر، ولذا يجعل ﴿ فما فوقها ﴾ بمعنى ما هو أكبر منها[٨].

ونقل الرازي (ت٦٠٦هـ) كلا الرأيين، وذكر أن المحققين مالوا إلى المعنى الأول وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ فما فوقها ﴾ هو ما فوقها في الصغر، أي ما هو أصغر منها[٩].

ولا أرى ما يمنع أن تفسر الفوقية في الآية بالمعنيين، فيمكن أن تفسر الفوقية بالزيادة في حجم الممثل به فيشمل الذباب والعنكبوت، ويمكن أن تفسر بالصغر والحقارة، كما تقول: فلان أنذل الناس، فيقال لك: هو فوق ذلك، أي: أبلغ في النذالة، فيكون معنى الآية: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما دونها وأحقر منها.

ولو أراد الاقتصار على أحد المعنيين لقال على الأول: (بعوضة فما أكبر منها)،وعلى الثاني: (فما دونها) والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾{طه٢٩}.

ذكر الزمخشري أن كلمة (وزير) تحتمل معاني عدّة، فقد تكون من الوَزَر، والوَزَر: هو الملجأ الذي يُلتجَأ إليه من الجبل، قال تعالى: ﴿ كَلاّ لا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾{القيامة١١،١٢}[١٠] وسمي الوزير بذلك لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره[١١].

وقد تكون من (الوِزْر)وهو الحمل الثقيل،قال تعالى:﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ {الشرح٢}وقال: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾{الأنعام٣١} وسمي الوزير بذلك لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنَه[١٢].

وقد تكون من المؤازرة وهي المعاونة[١٣].

وتتسع لفظة (وزير) لهذه الدلالات كلها، فعلى المعنى الأول يكون موسى عليه السلام قد دعا ربه أن يجعل من أهله من يلجأ إليه في أموره ويعتصم برأيه، وعلى الثاني دعاه أن يجعل منهم من يحمل الثقل عنه ويعينه في رأيه، وعلى الثالث دعاه أن يجعل منهم من يعينه في دعوته. وليس بعيدًا أن موسى عليه السلام قد قصد هذه الدلالات كلها في هذه اللفظة.

ويبدو لي أن دلالة الوزير على المؤازرة وهي المعاونة أقوى من الدلالتين الأخريين بدليل قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾{طه٣١}، وقوله في موطن آخر: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾{القصص٣٥} استجابة لدعاء موسى في قوله: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ

أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ {القصص٣٤} والرِّدء: هو الذي يتبع غيره معينًا له.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾{القمر٥٤} حيث وحّد النهر وجمع الجنات، وفي الاستعمال القرآني إذا جمع الجنة جمع النهر أيضًا فقال: ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ فما سبب ذلك؟

ذكر الزمخشري أن لكلمة (نهر) معاني عدة لا تحتملها لفظة (أنهار)، فالنهر اسم جنس بمعنى الأنهار[١٤]، فقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾{إبراهيم٣٤} والمراد بالنعمة هنا الجنس لا الواحد بدليل قوله: ﴿ لا تحصوها ﴾. يقول الفراء: ((ونهر معناه أنهار، كقوله: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾{القمر٤٥} وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلانًا فكنّا في لحمة ونبيذة، فوحّد ومعناه الكثير))[١٥].

ومن معاني (النهر) : السعة[١٦]، فيشمل سعة المنازل، وسعة الرزق والمعيشة[١٧].

ومن معانيه أيضًا: الضياء من النهار، والمراد أنهم لا ظلمة عندهم ولا ليل، لأن الجنة ليس فيها ليل، وإنما هي نور يتلألأ[١٨].

((وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة)) [١٩].

نلاحظ أن لفظة (نهر) قد جمعت هذه المعاني وكلها مرادة مطلوبة، بخلاف ما لو قال: (أنهار)، فإنها لا تدل إلا على معنى واحد.

والمقام يناسب المقال، فثواب النهر أعظم من ثواب الأنهار كما هو واضح، لأن من معاني النهر الأنهارَ، وهذا الثواب ليس لعموم المؤمنين وإنما هو للمتقين الذين هم خواص المؤمنين، ولذا فإن ثوابهم في الآخرة أعظم من ثواب عموم المؤمنين.

ثم إن هناك سببًا لفظيًّا لمجيء لفظة (نهر) موحّدة في هذه الآية وهو مراعاة فواصل

الآي، حيث إن أواخر آيـــــــــات سورة القمر منتهية بحرف الراء المتحرك ما قبلها،قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. . . سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . . . أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ. . . ﴾{القمر١ ـــ ٣} فناسب ذلك مجيء (نَهَر) مفردة. ولو جمعها لاختل الانسجام الموسيقي فيها.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾{البلد٢} فلفظة ﴿ حل ﴾ في هذا الموطن تتسع لأكثر من معنى كما ذكر الزمخشري، فهي تأتي بمعنى أنك مستحَلٌّ قتلك في هذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم[٢٠] .

وهذا يعني أنها بمعنى اسم المفعول. فمن المعروف أن في اللغة العربية صيغًا تدل على مفعول ومنها صيغة (فِعْل) مثل (طِحْن) بمعنى مطحون، و(ذِبْح) بمعنى مذبوح، و(طِرْح) بمعنى مطروح، و(حِلّ) بمعنى أنك مستحَلٌّ قتلك وإخراجك من هذا البلد الأمين الذي يأمن فيه من دخله.

وتأتي بمعنى الحلال ضد الحرام، بمعنى أنه حلال لك أن تفعل فيه ما تريد من القتل والأسر[٢١]. وكان ذلك يوم فتح مكة.

والآية مكية باتفاق وقد نزلت قبل فتح مكة بسنين ولذا احتاج الزمخشري إلى تعليل هذا التأويل فقال: إن المستقبل هنا كالحاضر المشاهد، ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾{الزمر٣٠}[٢٢].

واستبعدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن ((أن يكون (حِلّ) بمعنى إحلال الله لرسوله هذا البلدَ يفعل به بعد الفتح ما شاء، لظهور تكلفه، فضلاً عن كون الصيغة لا تقبل لغويًّا أن يكون الإحلال من حَلَّ)) [٢٣].

ويبدو لي أن لا تكلف في ذلك، كما أن الصيغة تقبل لغويًّا، ذلك أن المصدر قد يأتي على وزن (فِعْل) مثل (ذِكْر). وإذا كان الأمر كذلك فهو من باب الإخبار بالمصدر عن اسم الذات، والغرض من هذا الإخبار هو المبالغة بجعل العين هو الحدث نفسه.

وقد استعملت (حِلّ) بمعنى حلال في القرآن الكريم أربع مرات هي:

١ ـــ ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾{المائدة٥}

٢ ـ ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾{الممتحنة١٠}
٣ ـ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾{آل عمران٩٣}[٢٤].

وقد يتسع المعنى لأكثر مما ذكر الزمخشري، فتأتي بمعنى الحالّ والمقيم، أي بمعنى اسم الفاعل، والمعنى: وأنت مقيم بهذا البلد نازل فيه حالّ به[٢٥].

ومما لم يذكره الزمخشري أنها تأتي بمعنى((وأنت حِلّ بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم متحرّج بريء منها))[٢٦] كما تقول: أنت في حِلّ من هذا الأمر.

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حالّ بهذا البلد يبلّغ رسالة ربه، وقد أحلّ قتله بهذا البلد الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾{الأنفال٣٠}، وأنه حل له أن يقتل ويأسر في هذا البلد يوم فتح مكة ما لا يحلّ لغيره، فقد جمعت هذه الصيغة اسم المفعول وهو (المستحَلّ)، والمصدر وهو (الحلال)، واسم الفاعل وهو (الحالّ). فتوسع معنى الآية بتوسع معنى اللفظة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾{الكوثر١}

إن لفظة (الكوثر) تحتمل أكثر من معنى كما ذكر الزمخشري، ولذا يتسع معنى الآية باتساع معنى اللفظة، لأن المعاني كلها مرادة ومقصودة.

فالكوثر: فَوْعَل من الكثرة، وهو وصف يفيد المبالغة بمعنى المفرط الكثرة[٢٧]. والكوثر: نهر في الجنة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال: أتدرون ما الكوثر: إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير. ويفسر الكوثر أيضًا بالخير الكثير[٢٨].

جاء في (لسان العرب): ((رجل كوثر: كثير العطاء والخير. والكوثر: السيد الكثير الخير . . . وفي حديث مجاهد: أُعطيتُ الكوثر وهو نهر في الجنة . وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير))[٢٩].

ويبين الدكتور فاضل السامرائي سبب قوله (الكوثر) دون (الكثير) فيقول: ((إن

(الكوثر) يكون صفة تدل على الخير الكثير ويكون ذاتًا موصوفة بالخير الكثير، بخلاف (الكثير) فإنها تفيد الكثرة فقط غير محددة بشيء.

فكلمة (الكوثر) تعني شيئين:

١ ـــ الكثرة.

٢ ـــ الخير.

فهي تعني الخير الكثير وليس الكثير فقط، ولذلك يقال: (هو رجل كوثر) وتسكت ولا يقال: (رجل كثير) وتسكت حتى تتم ذلك بقولك: هو كثير الخير، أو كثير العطاء، ونحو ذاك. وتقول: (أقبل الكوثر) أي السيد الكثير الخير، ولا تقول: (أقبل الكثير).

ومن معانيه: النهر الموعود به، فيقال: (هو الكوثر) ولا يقال: (هو الكـــثير)، فـــالكوثر على هذا وصف واسم، وكلاهما يدل على الخير والكثرة، فالوصف معناه: كثير العطاء والخير، والموصوف معناه: السيد الكثير الخير، وعلى هذا فالكوثر أولى من الكثير))[٣٠].

يتضح مما مر أن (الكوثر) له أكثر من معنى، فهو يكون صفة للمبالغة نحو قولهم: (رجل كوثر) أي كثير العطاء والخير، ويكون ذاتًا موصوفة بكثرة الخير كما ورد في اللسان (الكوثر: السيد الكثير الخير)، وهو أيضًا نهر في الجنة.

واللفظة في هذه الآية تتسع لتشمل المعاني كلها، لأن جميع ما ذكر نعمٌ أنعمها الله علـــى رسوله عليه الصلاة والسلام، ولذا يمكن أن نقول: ((إن المراد بالكوثر جميع نعم الله على محمد عليه السلام))[٣١] في الدنيا والآخرة .

ثانياً : الصيغ المشتركة :

قد يكون للصيغة الواحدة أكثر من دلالة، وبتعبير آخر أن الصيغة قد تتسع لتشمل أكثر من دلالة. مثال ذلك أن صيغة (فعيل) قد تتسع لتشمل الصفة المشبهة واسم المفعول نحو (حكيم) فقد تكون اسم مفعول بمعنى مُحكَم، وقد تكون صفة مشبهة من الحكمة بمعنى صاحب الحكمة .

وقد تتسع الصيغة لتشمل ما هو أكثر من ذلك، فيشترك في الصيغة الواحدة اسم المفعول والمصدر الميمي واسما الزمان والمكان،وذلك فيما جاء على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي نحو (ملتقى، ومجتمَع).فإذا قلنا:(هنا ملتقاهم)كان المعنى : هنا لقاؤهم، أو هنا مكان لقائهم، أي أنها تحتمل المصدرية واسم المكان،وإذا قلنا: (مُلتقانا يوم الخميس القادم) كان المعنى أن لقاءنا أو زمن لقائنا يوم الخميس القادم، أي أنها تحتمل المصدرية واسم الزمان .

وقد اتسعت صيغ في آيات قرآنية ليكون لها أكثر من معنى، فنجد أن الصيغة الواحدة قد يشترك فيها أكثر من دلالة. وذكر الزمخشري في كشافه الكثير من ذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾{القيامة١٢} فذكر أن لفظة ﴿ المستقر ﴾ في هذه الآية تدل على المصدر بمعنى الاستقرار، أي : إلى ربك يومئذٍ استقرار العباد . وتدل على اسم المكان أيضًا، بمعنى مكان الاستقرار من جنة أو نار[٣٢]، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ . كَلاَّ لا وَزَرَ ﴾{القيامة١٠،١١} فـ(أين) للسؤال عن المكان، والوَزَر هو الملجأ.

والصيغة تتسع دلالتها لتشمل اسم الزمان أيضًا، فهي ((تفيد زمان الاستقرار أيضًا، أي أن وقت الفصل بين الخلائق وسَوقهم إلى مستقرّهم عائد إلى مشيئته تعالى، فهم يمكثون في ذلك اليوم ما يشاء الله أن يمكثوا، ثم هو يحكم بوقت ذهابهم إلى مواطن استقرارهم))[٣٣] .

فأفادت كلمة (مستقر) هذه المعاني الثلاثة مجتمعة، ولو أبدلت بها (الاستقرار) ما أفادت تلك المعاني كلها.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾{البقرة٣٦} فإنها تحتمل المصدرية بمعنى الاستقرار، وتحتمل اسم المكان بمعنى موضع الاستقرار[٣٤]، واسم الزمان أيضًا، بمعنى أن لكم زمانًا معينًا تستقرون فيه في الأرض ثم تغادرونها.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ {هود٦}،فهو سبحانه يعلم استقرارها واستيداعها،ويعلم مكان استقرارها واستيداعها، وزمانهما.

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾{الأعراف١٨٧} وسّع الزمخشري معنى ﴿ مرساها ﴾ لتشمل المصدر الميمي بمعنى الإرساء،واسم الزمان بمعنى زمن الإرساء فقال: ((﴿ مرساها ﴾ إرساؤها، أو وقت إرسائها))[٣٥].

والذي يبدو أنها تدل على المصدر الميمي دون اسم الزمان ((لأن (أيان) اسم استفهام عن الوقت، فلا يصح أن يكون خبرًا عن الوقت إلا بمجاز، لأنه يكون التقدير : في أي وقتٍ وقتُ إرسائها ؟))[٣٦].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾{البقرة٢١٦} فقوله : (كره) يحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول، كالخُبْز بمعنى المخبوز، أي وهو مكروه لكم[٣٧].

ويحتمل ((أن يكون بمعنى الكراهة، على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة، كقولها[أي الخنساء]:

فإنما هي إقبال وإدبار[٣٨]

كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له))[٣٩].

ولتوضيح الاحتمال الثاني أقول : إن الغرض من الإخبار بالمصدر المبالغة كما يقول النحاة . أي أن القتال تحوّل إلى كره فصار في نفسه كرهًا لشدة كراهيتهم له.جاء في (الخصائص): ((إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه . ويدل على أن هذا معنى لهم ومتصوّر في نفوسهم قوله فيما أنشدناه :

ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل وضنّت علينا والضنين من البخل

أي أنه مخلوق من البخل لكثرة ما يأتي به منه))[٤٠].

والتعبير في هذه الحالة أدلّ على شدة كراهتهم للقتال وأبين له والله أعلم .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾{التين٣}.

ذكر الزمخشري أن ((الأمين من (أمن الرجل أمانة) فهو أمين))[٤١]. وقد وصف البلد بالأمين ((لأنه مكان أداء الأمانة وهي الرسالة. والأمانة ينبغي أن تؤدى في مكان أمين. فالرسالة

أمانة نزل بها الروح الأمين وهو جبريل، وأداها إلى الصادق الأمين وهو محمد، في البلد الأمين وهو مكة . . .

فالأمانة حملها رسول موصوف بالأمانة فأداها إلى شخص موصوف بالأمانة في بلد موصوف بالأمانة)) [٤٢].

كما ذكر أنه يحتمل أن تكون (الأمين) فعيلاً بمعنى مفعول مثل: جريح بمعنى مجروح، وقتيل بمعنى مقتول، أي المأمون، وذلك لأنه مأمون الغوائل[٤٣].

ويحتمل أن يكون من الأمن ((فهو البلد الآمن قبل الإسلام وبعده، دعا له سيدنا إبراهيم عليه السلام بالأمن قبل أن يكون بلدًا وبعد أن صار بلدًا فقال أولاً: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾{البقرة١٢٦}وقال فيما بعد: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾{إبراهيم٣٥} فهو مدعوّ له بالأمن من أبي الأنبياء. وقد استجاب الله سبحانه هذه الدعوة . قال تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾{آل عمران٩٧} وقال: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾{البقرة١٢٥}. فـ(الأمين) على هذا (فعيل) للمبالغة بمعنى الآمن))[٤٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾{يوسف٣}، فقد ذكر الزمخشري أن (القصص) إما أن يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص، تقول: قصّ الحديث يقصّه قَصَصًا، كقولك: (شلّه يشلّه شَلَلاً) إذا طرده، فيكون معنى الآية: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص. وإما أن يكون بمعنى اسم المفعول كالنَفَض بمعنى المنفوض، والسَّلَب بمعنى المسلوب، والنَّبَأ بمعنى المنبَأ به، والخَبَر بمعنى المخبَر به. فيكون معنى الآية: نحن نقص عليك أحسن ما يُقَصّ من الأحاديث.

والمعنيان مرادان كما هو ظاهر . ولو قال: (أحسن الاقتصاص) لم يفد إلا معنى المصدرية، ولو قال: (أحسن المقصوص) لم يفد إلا معنى المفعولية[٤٥].

وقد تكون الصيغ المشتركة في الأفعال، فقد يصاغ الفعل ليحتمل البناء للمعلوم والبناء

للمجهول كقوله تعالى: ﴿ لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾{البقرة٢٣٣}.

إن الفعل ﴿ تضارَّ ﴾ يحتمل أن يكون مبنيًّا للمعلوم ومبنيًّا للمجهول، فإذا كان الأصل (تضارِر) ــ بكسر الراء الأولى ــ فهو مبنيٌّ للمعلوم فتكون الوالدة هي الفاعل للضرار، وإذا كان الأصل (تضارَر) ــ بفتحها ــ فهو مبني للمجهول، وتكون الوالدة حينئذ هي المفعول بها الضرار.

وذكر الزمخشري أن المعنى يكون على الوجه الأول : لا تفعلِ الأم الضرار بالأب بسبب ولدها، وذلك بأن ((تعنّف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد))(٤٦).

وعلى الوجه الثاني معناه: لا تضارَر، أي: لا يفعل الأب الضرار بالأم فيتزع الولد منها مع رغبتها في إمساكه وشدّة محبتها له . والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد(٤٧).

وإنما احتمل الوجهين معًا نظرًا لحال الإدغام الواقع في (تُضارَّ)، ولو فك الإدغام وقال: (لا تضارِر) أو (لا تضارَر) ما احتمل إلا وجهًا واحدًا.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ﴾{البقرة٢٨٢} .

فالكلام على هذه الآية لا يختلف كثيرًا عما ذكرته في الآية السابقة، فإن قوله: ﴿ لا يضارَّ ﴾ يحتمل البناء للمعلوم والمجهول، فإذا كان أصله (لا يضارِر) ــ بكسر الراء الأولى ــ فهو مبني للمعلوم، فيكون الكاتب والشهيد هما الفاعلان للضرار، وإذا كان أصله (لا يضارَر) ــ بفتحها ــ فهو مبني للمجهول، فيكونان هما المفعول بهما الضرار. والمعنى على الأول نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان. وعلى الثاني النهي عن أن يضارّهما أحد بأن يعنّتا، أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل، أو يحمّل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد(٤٨).

وقد جمع المعنيين بقوله : ﴿ ولا يضارَّ ﴾ ليشمل المعنى : (ولا يضارِر، و لا يضارَر كاتب ولا شهيد)، ولو أراد تحديد واحد منهما لفك الإدغام ولقال : (ولا يضارِر) أو (ولا يضارَر)

ولكنه أدغم ليشمل التعبير المضارِر والمضارَر فيتسع المعنى . جاء في (البرهان): ((قد يكون اللفظ مشتركًا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعًا كقوله تعالى : ﴿ ولا يضارَّ كاتب ولا شهيد ﴾ قيل: المراد (يضارِر) وقيل: (يضارَر)، أي: الكاتب والشهيد لا يضارِر فيكتم الشهادة والخط، وهذا أظهر. ويحتمل أن من دعا الكاتب والشهيد لا يضارِره فيطلبه في وقت فيه ضرر .

وكذلك قوله: ﴿ لا تضارَّ والدة بولدها﴾ فعلى هذا يجوز أن يقال: أراد الله بهذا اللفظ كلا المعنيين على القولين))[٤٩].

ثالثًا : تعدد احتمالات مرجع الضمير:

فقد تتعدد دلالة الجملة ويتوسع المعنى على حسب تعدد احتمالات مرجع الضمير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾{البقرة٢٣} فقد ذكر الزمخشـــري أن الضمير في ﴿ مثله ﴾ قد يعود على القرآن أو على الرسول، فإذا عاد على القرآن كان المعنى : فائتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب، وعلوّ الطبقة في حسن النظم. وإذا عاد على الرسول كان المعنى : فائتوا ممن هو على حاله من كونه بشرًا عربيًّا وأميًّا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء[٥٠]. ويحتمل التعبير كلا المعنيين.

ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ {الأنعام٣١} فالضمير في ﴿ فيها ﴾ يحتمل أن يعود على الحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة. وقد يعود على الساعة، على معنى: قصّرنا في شأنها وفي الإيمان بها[٥١].

رابعًا : آيات تحتمل أكثر من معنى، غير أنه قد تتعين الدلالة بالتعليق:

قد يكون لبعض الآيات أكثر من معنى، لكن المعنى يتعين على حسب التعليق، من ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾{القصص٢٥} فإذا علّقت قوله: ﴿ على استحياء ﴾ بـــ﴿ تمشي ﴾ كان المعنى أن

مشيها كان على استحياء، وإذا علّقته بــ(قالت) كان المعنى أن قولها كان على استحياء.وهذا التعبير يحتمل الأمرين معًا، فإن مشيها وقولها كانا على استحياء.

ومما ذكره الزمخشري قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ {المائـــــــدة٢٦} فإن الظرف ﴿ أربعين سنة ﴾ يمكن أن يتعلق بـــ﴿ محرمة ﴾ أو بـــ ﴿ يتيهون ﴾. فإذا علّقته بـــ﴿ محرمة ﴾ كان المعنى أن التحريم مقيّد بهذه المدة، وإذا علّقته بـــ ﴿ يتيهون ﴾ كان المعنى أنها محرمة عليهم أبدًا وأن التيه أربعون سنة[٥٢].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى مخاطبًا موسى وأخاه هارون: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾{القصص٣٥} فقد ذكر الزمخشري أن ﴿ بآياتنا ﴾ لها أكثر من وجه للتعليق، ويتغير المدلول بتغير التعليق، فقد يجوز أن تكون متعلقة بمحذوف، أي: اذهبا بآياتنا،على نحو ما قدّر في قوله تعالى في موطن آخر: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ {النمل١٢}، أي: اذهبا في تسع آيات[٥٣].وقد صرح بذلك المحذوف في سورة الشعراء فقال تعالى: ﴿ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ــ ١٥﴾. ويجوز أن تعلّق بـــ﴿ نجعل لكما سلطانًا ﴾ أي : نسلطكما عليهم بآياتنا حتى تكون رهبتهم منكما آية من آياتنا[٥٤]. ويجوز أن تتعلق بـــ﴿ لا يصلون ﴾ فيكون المعنى أنهم لا يصلون إليهما بسبب الآيات[٥٥].

وهناك وجه رابع للتعليق لم يذكره الزمخشري، وهو أن تكون معلّقة بالغلبة، فيكون المعنى أنهم غالبون بالآيات وهي المعجزات التي أيدهم الله بها، وهو أَوْلى، لأنهم غَلبوا بالآيات. والوقف ــ على هذا المعنى ــ إنما يكون على قوله: ﴿ إليكما ﴾ ويبدأ بقوله : ﴿ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾وهو الراجح[٥٦].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾{البقرة١٠٩}،فإن قوله : ﴿ من عند أنفسهم ﴾ له أكثر من وجه للتعليق،فيجوز أن يعلّق بـــ﴿ ودّ ﴾، ويجوز أن يعلق بـــ﴿ حسدًا ﴾.وقد ذكر الزمخشري كلا

الوجهين وبيّن المعنى الذي يترتب على كل وجه،فذكر أن التعليق إذا كان بـ﴿ ودّ ﴾ فالمعنى أن تمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبَل شهوتهم،وإذا كان التعليق بـ﴿حسدًا ﴾ كان المعنى أن الحسد منبعث من أصل أنفسهم(٥٧).

خامساً : العدول عن تعبير إلى آخر يحتمل أكثر من معنًى وأكثر من وجه إعرابي :

قد يعدل القرآن الكريم من تعبير قطعي ليس له أكثر من معنى وأكثر من وجه إعرابي إلى تعبير آخر يحتمل أكثر من وجه إعرابي وأكثر من معنى، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾{التوبة٨٢} فهذا التعبير يحتمل أن يكون المراد منه : فليضحكوا ضحكًا قليلاً وليبكوا بكاءً كثيرًا، فيكون كل من (قليلاً وكثيرًا) نائبًا عن المصدر، ويحتمل أن يكون المراد : فليضحكوا زمنًا قليلاً وليبكوا زمنًا كثيرًا، فيكون كل منهما نائبًا عن ظرف الزمان. والمعنيان مرادان .

وما يهمنا هنا هو أن نقف على آيات قرآنية أشار الزمخشري في تفسيره إلى أنها تحتمل أكثر من وجه إعرابي وأكثر من معنى .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا ﴾{النساء١٦٠}، يقول الزمخشري إن لفظة (كثيرًا) تعني ((ناسًا كثيرًا أو صدًّا كثيرًا))(٥٨). وهذا يعني أن للفظة (كثيرًا) أكثر من معنى وأكثر من إعراب، وينبني على الاختلاف في معناها اختلاف في إعرابها، فهي تحتمل أن يراد بها الدلالة على المصدر، ويحتمل أن يراد بها الخَلق فتكون مفعولاً للمصدر المذكور . وعلى الاحتمال الأول يكون المعنى : صدًّا كثيرًا، وعلى الثاني يصير المعنى أنهم يصدّون ناسًا كثيرًا، فجمعت الآية المعنيين في آن واحد .

وإذا كان الزمخشري قد اقتصر على هذين الإعرابين وهذين المعنيين،فإن هناك من توسّع أكثر مما توسّع الزمخشري، فهذا أبو حيان النحوي يضيف معنًى ثالثًا وإعرابًا ثالثًا وهو أن يكون

المراد بـ(كثيرًا) الوقت، فتكون نائبة عن ظرف الزمان، والمعنى أنهم يصدون عن سبيل الله وقتًا كثيرًا أو زمنًا كثيرًا(٥٩).

وتحتمل هذه الآية المعاني الثلاثة، فهم يصدّون صدًّا كثيرًا، ويصدّون خلقًا كثيرًا، ويصدّون وقتًا كثيرًا، فجمع التعبير القرآني هذه المعاني الثلاثة.

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾{آل عمران٤١} أي : ذكرًا كثيرًا ووقتًا كثيرًا، والمعنيان مرادان، فقد أمر الله نبيه زكريا ــ عليه السلام ــ أن يذكر ربه ذكرًا كثيرًا وزمنًا كثيرًا .

والجدير بالذكر أن الذكر الكثير ورد بهذا التعبير الاحتمالي لأجل الاتساع في الدلالة في أكثر من موطن، من ذلك قوله تعالى :﴿ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾{الأحزاب٢١}، وقوله: ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ {الشعراء٢٢٧}، وقوله: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾{طه٣٣،٣٤} إلى غير ذلك من الآيات.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾{الرعد١٢} فقال: ﴿ خوفًا وطمعًا ﴾ لتتسع الدلالة ويتسع الإعراب، فقد ذكر الزمخشري أن قوله: ﴿ خوفًا وطمعًا ﴾ يحتمل معنيين ويحتمل إعرابين، فهما يحتملان النصب على الحالية ــ أي:خائفين وطامعين ــ أو النصب على المفعول له، على تقدير حذف مضاف، أي : إرادةَ خوف وطمع، أو على معنى : إخافةً وإطماعًا(٦٠).

ولم يجعلهما منصوبين على المفعول له من دون تقدير أو تأويل، لأنه يذهب مذهب جمهور النحاة أن من شروط المفعول له المشاركة في الفاعل، أي أن يكون فاعل الحدث والمصدر واحدًا نحو قولك : (قمت احترامًا لأبي) ففاعل القيام والاحترام واحد وهو المتكلم، ولذا اضطرّ الزمخشري إلى التقدير والتأويل فقال : ((﴿خوفًا وطمعًا﴾ لا يصح أن يكون مفعولاً لهما، لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلّل إلا على تقدير حذف المضاف، أي : إرادة خوف وطمع، أو على معنى : إخافةً وإطماعًا))(٦١).

ويوضّح أبو حيان قول الزمخشري المذكور آنفًا فيقول : ((وإنما لم يكونا على ظاهرهما بفعل فاعل الفعل المعلَّل، لأن الإراءة[٦٢] فعل الله، والخوف والطمع فعل المخاطبين، فلم يتّحد الفعل والفاعل في المصدر))[٦٣].

وما ذهب إليه الزمخشري وغيره من جمهور النحاة من اشتراط المشاركة في الفاعل ليس أمرًا مجمعًا عليه، فقد ذهب ابن خروف (ت٦٠٩هـ) إلى عدم اشتراط ذلك ((تمسّكًا بقوله تعالى : ﴿ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾حيث إن فاعل الإراءة هو الله، والخوف من المخاطبين))[٦٤].

ومن أمثلة عدم المشاركة في الفاعل قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾{القمر١٤} ففاعل الجري السفينة، وفاعل الجزاء هو الله تعالى[٦٥].

يقول الرضي (ت٦٨٦هـ) في شرحه على كافية ابن الحاجب: ((وبعض النحاة لا يشترط تشاركهما في الفاعل، وهو الذي يقوى في ظني، وإن كان الأغلب هو الأول، والدليل على جواز عدم التشارك قول أمير المؤمنين علي ــ رضي الله عنه ــ في نهج البلاغة: "فأعطاه الله النظرة استحقاقًا للسخطة واستتمامًا للبلية" والمستحق للسخطة إبليس، والمعطي للنظرة هو الله تعالى))[٦٦].

وبناءً على هذا الرأي الذي ذهب إليه ابن خروف ومال إليه الرضي فإن الإعراب والمعنى يتسعان في آية الرعد ليشملا المفعول لأجله من دون التقدير أو التأويل الذي ذهب إليه الزمخشري، ويصير المعنى : يريكم البرق لأجل الخوف والطمع .

وقد توسّع بعض المفسرين في معنى آية الرعد وإعرابها أكثر مما توسع الزمخشري ليشمل النصب على المصدرية، أي: لتخافوا خوفًا وتطمعوا طمعًا[٦٧].

فالتعبير القرآني في هذه الآية جعل المعنى يتسع ليشمل الحالية والمفعول لأجله ــ بتقدير أو تأويل أو بدونهما ــ والمفعولية المطلقة .

ولو قال : (خائفين وطامعين) ما احتمل التعبير غير الحالية، ولو قال : (دعاء خوف وطمع) ما احتمل غير المفعول لأجله، ولو قال : (تخافون خوفًا وتطمعون طمعًا) ما احتمل غير المفعولية المطلقة، فجمع التعبير القرآني هذه المعاني كلها أحسن جمع وأوجزه .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً ﴾ {إبراهيم٣١} فقوله : ﴿ سرًّا وعلانيةً ﴾ يحتمل أن يكون على معنى : مسرّين ومعلنين، فيكونان منصوبين على الحالية، أو على معنى: وقتَي سر وعلانية، فيكونان منصوبين على الظرفية، أو على معنى: إنفاق سر وإنفاق علانية، فيكونان منصوبين على المصدرية [٦٨].

وهذه المعاني كلها مرادة، فإن الله تعالى أمرنا أن ننفق مسرّين ومعلنين، وأن ننفق وقتَي السر والعلانية، وأن ننفق إنفاق سر وإنفاق علانية، فجاءت هذه المعاني كلها في هذا التعبير القصير، وليس هناك أي تعبير آخر يحتمل هذه المعاني كلها .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾{البقرة٤٨} فكلمة (شيئًا) يحتمل أن تكون مفعولاً به، ويحتمل أن يكون نصبها على المصدرية، أي : شيئًا من الجزاء[٦٩].

ونحوه قولـــــــــه تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾{مريم٤٢} فإن ((﴿ شيئًا ﴾ يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون في موضع المصدر، أي : شيئًا من الإغناء . . . والثاني أن يكون مفعولاً به من قولهم: أغنِ عني وجهك))[٧٠].

ولا داعي لحجر (شيئًا) على المفعولية المطلقة في آية البقرة كما ذهب إلى ذلك أبو الفضل الآلوسي (ت١٢٧٠هـــ)، حيث قال: ((﴿شيئًا﴾ مفعول مطلق لا غير،والمعنى : لا تغني نفس عن نفس شيئًا من الإغناء))[٧١] فإن المعنى ـــ كما رأينا ـــ يتّسع ليشمل المفعول به أيضًا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾{سبأ١٣}، فقد ذكر ثلاثـــة أوجـــه إعرابية لكلمة (شكرًا)، لكل وجه معنى :

الأول : أن يكون مفعولاً له، أي : اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه .

والثاني : أن يكون حالاً، أي : شاكرين .

والثالث : أن يكون مفعولاً مطلقًا، على تقدير : اشكروا شكرًا، لأن (اعملوا) تضمّن معنى (اشكروا)[٧٢].

وأضاف الرازي (ت٦٠٦هـ) والبيضاوي (ت٧٩١هـ) وجهًا رابعًا وهو ((أن يكون مفعولاً به . . . كما قال تعالى: ﴿واعملوا صالحًا﴾{سبأ١١} لأن الشكر صالح))[٧٣].

ولعل الأوجه الثلاثة الأولى يحتملها التعبير، فقد أمر الله آل داود أن يعملوا لله ابتغاءً لمرضاته ويعبدوه على وجه الشكر لنعمائه، وأن يعملوا شاكرين لله، وأن يشكروا الله شكرًا .

وأما الوجه الرابع ففيه تكلف،لأن الله تعالى أمر داود ـ عليه السلام ـ وآله أمرين،أحدهما قوله: ﴿ واعملوا صالحًا ﴾ والآخر قوله : ﴿ **اعملوا آل داود شكرا** ﴾، فمرة أمرهم بالعمل الصالح، ومرة أمرهم بالشكر، ولو كانت كلمة (شكرًا) مفعولاً به بحجة أن الشكر صالح لأفاد التعبير أن الله تعالى لم يأمر داود وآله إلا بأمر واحد وهو عمل الصالحات، وهذا بخلاف المعنى المقصود .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾{غافر٨٢}.

فمن المعروف عند النحاة أن (ما) تحتمل أكثر من معنى، فهي تحتمل الموصولية والنفي والاستفهامية والمصدرية في كثير من التعبيرات.

وعلى هذا فـ (ما) لها عدة احتمالات ذكرها الزمخشري، ففي قوله تعالى : ﴿ فما أغنى ﴾ يحتمل أن تكون (ما) نافية، أي أن ما كانوا يكسبونه لم يغنِ عنهم، ويحتمل أن تكون استفهامية، أي : أي شيء أغنى عنهم الذي كانوا يكسبونه ؟

و (ما) في قوله : ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ تحتمل الموصولية، بمعنى : الذي كانوا يكسبونه، والعائد محذوف، وتحتمل المصدرية، أي : فما أغنى عنهم كسبهم، سواء كانت (ما) الأولى استفهامية أم نافية(٧٤).

وهذا الكلام ينطبق على قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ {المسد٢} فـ(ما) في (ما أغنى) يحتمل أن تكون نافية، بمعنى أن ماله لم يغن عنه، ويحتمل أن تكون استفهامية، أي: أي شيء أغنى ماله ؟ و(ما) في قوله: (وما كسب) تحتمل الموصولية، بمعنى: ما كسبه، والعائد محذوف، وتحتمل الاستفهام، بمعنى: ما الذي كسبه؟ وتحتمل المصدرية، أي: ما أغنى عنه ماله وكسبه، سواء جعلت (ما) الأولى استفهامية أم نافية(٧٥).

ومن ذلك قوله تعالى مخبرًا عن الساعة : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾{الحج٢} فإن (ما) يحتمل أن تكون اسمًا موصولاً بمعنى (الذي)، فيكون المعنى : تذهل كل مرضعة عن الذي أرضعته وهو الطفل، ويحتمل أن تكون حرفًا مصدريًا فيكون المعنى: تذهل كل مرضعة عن إرضاعها(٧٦).

ونرى أن التعبير يحتمل كلا المعنيين، فإن المرضعة في هذا اليوم تذهل عن الطفل الذي ترضعه، وتذهل عن الحدث وهو الإرضاع .

ولو قال : (عما أرضعته) لكانت (ما) اسمًا موصولاً بسبب العائد، ولكان المعنى أنها تذهل عن الطفل الذي بين يديها، ولكن قد لا يصل الأمر إلى أنها تذهل عن الحدث نفسه . ولو قال: (عن إرضاعها) لأفاد المعنى أنها تذهل عن الحدث وهو الإرضاع، ولكن لا يصل الأمر إلى أنها تذهل عن الطفل الذي بين يديها، فقد تذهل عن إرضاعها ولكن لا تذهل عن طفلها .

فلو قالها على أي وجه من الوجهين اللذين ذكرتهما آنفًا ما تبين لنا مدى ذهول المرضعة عند قيام الساعة بمقدار ما صوّره لنا التعبير القرآني .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ {هود١٦} فإن (ما) في قوله: ﴿ ما صنعوا ﴾ يحتمل أن تكون اسمًا موصولاً، أي : حبط في الآخرة العمل الذي صنعوه في الدنيا، ويحتمل أن تكون حرفًا مصدريًّا، فيكون المعنى : وحبط في الآخرة صنيعهم(٧٧).

وهذا الكلام ينطبق على قوله تعالى : ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ فإذا كانت (ما) اسمًا موصولاً كان المعنى: باطل ما كانوا يعملونه، أي : باطل العمل الذي كانوا يعملونه،وإذا كانت حرفًا مصدريًّا كان المعنى: باطل عملهم.

وشواهد (ما) المحتملة للموصولية والمصدرية في القرآن كثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ لا تُؤاخِذْني بِمَا نَسِيتُ ﴾{الكهف٧٣} فقوله: (بما نسيت) يحتمل لأن يراد به بالذي نسيته أو بنسياني(٧٨). وقوله: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾{طه١٣} أي: للذي يوحى، أو للوحي(٧٩).وقوله: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى ﴾{النازعات٣٥}(٨٠) إلى غير ذلك من الآيات.

سادساً : **آيات تحتمل في تأليفها أكثر من دلالة يصح أن تراد جميعًا في آن واحد** :

هناك آيات قرآنية يعطي تأليفها ونظمها أكثر من دلالة، وهذه الدلالات يصح أن تراد جميعًا في آن واحد، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾{البقرة٢}فيصح أن يكون ﴿الكتاب﴾ خبرًا، و ﴿لا ريب فيه﴾ خبرًا ثانيًا .

ويحتمل أن يكون ﴿ الكتاب ﴾ بدلاً من ﴿ ذلك ﴾، و ﴿ لا ريب فيه ﴾ هو الخبر، والمعنيان صحيحان يمكن أن يرادا معًا.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾{ص٢٣} فيجوز أن يكون ﴿ أخي ﴾ خبر (إنّ)، و ﴿ له تسع وتسعون نعجةً ﴾ خبرًا ثانيًا، وسيكون المعنى حينئذ أنه يخبره أنه أخوه وأن له تسعًا وتسعين نعجة .

ويحتمل أن يكون ﴿ أخي ﴾ بدلاً، و ﴿ له تسع وتسعون نعجةً ﴾ خبر (إنّ)، والمعنيان مرادان معًا.

وقد كان للزمخشري وقفات على هذا النوع من الآيات، منها قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي ﴾{المائدة٢٥} فهذا التعبير يحتمل مدلولين :

الأول : أن يكون المراد أن موسـى لا يملك إلا نفسه ولا يملك إلا أخاه،وذلك إذا عطف ﴿ أخي ﴾ على ﴿ نفسي ﴾.

والثاني:أن موسى لا يملك إلا نفسه، وأخاه لا يملك إلا نفسه(٨١)،وذلك إذا كان ﴿ أخي ﴾ مبتدأً خبره محذوف تقديره (كذلك) .

ولو كان التعبير على غير هذه الصورة ما احتمل كلا المعنيين، فلو قال: (إني وأخي لا نملك إلا أنفسنا) ما احتمل إلا المدلول الثاني . ولو قال: (إني لا أملك إلا نفسي و إلا أخي) ما احتمل إلا المدلول الأول، فجاء التعبير على هذه الصورة المذكورة في القرآن ليتسع المعنى فيشمل كلا المدلولين .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ﴾{فصلت٣٤}.

يذكر الزمخشري الدلالات المحتملة لهذه الآية فيقول : ((يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة . . . وقيل : (لا) مزيدة، والمعنى: لا تستوي الحسنة والسيئة))(٨٢).

ومعنى هذا أن (لا) الثانية يحتمل أن تكون زائدة مؤكدة، بمعنى : لا تستوي الحسنة والسيئة . ويحتمل أن يكون المراد أن الحسنة لا تستوي فيما بينها، فبعض الحسنات أحسن من بعض، وكذلك السيّئة لا تستوي، فبعض السيّئات أعظم من بعض، فبذكر (لا) الثانية احتمل التعبير أكثر من معنى وهي : ١ـــ أنه لا تستوي الحسنة والسيئة. ٢ ـــ أن الحسنة لا تستوي.

٣ـ أن السيئة لا تستوي.

ولو حذف (لا) فقال : (ولا تستوي الحسنة والسيئة) لم يكن لها إلا معنى واحد وهو أن الحسنة لا تستوي مع السيّئة.

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ . وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ ﴾{فاطر١٩ ــ ٢٢}.

فيحتمل أن يكون المعنى أن الأعمى والبصير لا يستويان، وأن الظلمات والنور لا تستوي، وكذلك لا يستوي الظل والحرور .

ويحتمل أن يكون المعنى أن الظلمات لا تستوي، فبعضها أظلم من بعض، والنور لا يستوي فبعضه أنور من بعض . . . وكذلك ما بعده(٨٣).

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾{الملك١٤}، حيث إن معنى الآية يتوقف على إعراب (مَن)، فإذا كان فاعلاً كان المعنى : ألا يعلم الخالق خلقه ؟ وإذا كان مفعولاً فإن المعنى : ألا يعلم الله من خلق ؟ أي: ألا يعلم مخلوقه ؟(٨٤) .

سابعاً : التضمين في النحو:

وهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه. وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين(٨٥). يقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾{الكهف٢٨}: ((يقال : عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم : (عدا طوره) . . . وإنما عدّي بـــ(عن) لتضمين (عدا) معنى (نبا) و (علا) في قولك : (نبَتْ عنه عينك) و (علَتْ عنه عينه) إذا اقتحمته ولم تعلق به .

فإن قلت : أي غرض في هذا التضمين ؟ وهلاّ قيل : ولا تعدُهم عيناك، أو : لا تعلُ عيناك عنهم ؟ قلت : الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ؟ ونحوه قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾{النساء٢} أي : ولا تضمّوها إليها آكلين لها))(٨٦).

ويعرّفه السيد الشريف الجرجاني بقوله : ((والتضمين أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته))(٨٧).

ثم يبين فائدته فيقول: إن ((فائدة التضمين إعطاء مجموع المعنيين، فالفعلان مقصودان معًا قصدًا وتبعًا))(٨٨).

مما سبق يتبين لنا أن فائدة التضمين هو التوسع في المعنى ((وذلك أن يؤتى بفعل، ثم يؤتى معه بحرف لا يتعدّى معه ذلك الفعل، وإنما يتعدّى مع فعل آخر، فيكسب معنى الفعل المذكور والمقدّر))(٨٩).

بعد هذه المقدمة التي أوضحنا فيها معنى التضمين وذكرنا فائدته نعود إلى الآيات القرآنية لنرى كيف يوسّع التضمين المعنى . ويهمنا أن نقف على ما وقف عليه الزمخشري في كشافه .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ {البقرة١٨٧} فقد عدّى الرفث بـ(إلى)–والأصل فيه أن يتعدّى بالباء – وذلك لتضمينه معنى الإفضاء(٩٠)،والإفضاء يتعدّى بـ(إلى)، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ {النساء٢١}. يقول الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) : ((الرفث: كلام متضمن لما يُستقبَح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه، وجُعِل كناية عن الجماع في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ تنبيهًا على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه.وعدّي بـ(إلى) لتضمنه معنى الإفضاء))(٩١). فجمع بين جواز الكلام المتضمن ذكر الجماع وبين الإفضاء .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ للَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾{البقرة٢٢٦} فمعنى ﴿ يؤلون ﴾ : يقسمون، أو يحلفون، والأصل أن نقول : حلف فلان على كذا، ولكنه عدل عن لفظة (على) إلى لفظة (من) لأنه ضمّن معنى البعد،فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين(٩٢).فجمع بين معنيي الحلف والبعد .

وقد ((يضمن الإيلاء معنى الامتناع فيعدّى بـ(من) فكأنه قيل: للذين يمتنعون بالإيلاء من نسائهم)) [٩٣].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾{النساء٢} فضمّن (تأكلوا) معنى (تضمّوا) فلذلك عدّي بـ(إلى)، أي : ((ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرّقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم))[٩٤]. فجمع بين معنيي الأكل والضم.

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾{النور٦٣} فالفعل (خالف) يتعدى بنفسه فتقول : (خالف أمره)، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾{هود٨٨} ولكنه عدّي هنا بـ(عن) لتضمينه معنى يصدون عن أمره أو يعرضون عنه أو يعدلون عنه[٩٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾{المعارج١}فعدّي الفعل (سأل) بالباء لتضمينه معنى (دعا)، ((فعدّي تعديته،كأنه قيل:دعا داعٍ بعذاب واقع،من قولك:دعا بكذا . . ومنه قوله: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾{الدخان ٥٥}))[٩٦].

ويتضح هذا المعنى من سبب نزول الآية، فقد روي أن النضر بن الحارث قال: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾{الأنفال٣٢}فأنزل الله تعالى:﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [٩٧] أي دعا بالعذاب لنفسه وطلبه لها .

ثامناً : الحذف الذي يؤدي إلى إطلاق الدلالة وتوسعها :

ينقسم الحذف قسمين : قسم لا يؤدي إلى توسع في الدلالة،وهو ما يتعين فيه المحذوف،نحو قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ﴾{فصلت٤٦} أي : من عمل صالحًا فعمله لنفسه ومن أساء فإساءته عليها . ونحو قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾{الزخرف٨٧} أي : الله خلقنا . وقسم يؤدي

إلى توسع فيها،وذلك إذا لم يتعين فيه المحذوف، بل يحتمل عدة تقديرات يحتملها سياق الآية . وما يهمنا هنا هو القسم الثاني .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ {النساء١٢٧} فقوله تعالى : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ ((يحتمل:في أن تنكحوهنّ لجمالهنّ،و: عن أن تنكحوهنّ لدمامتهنّ))[٩٨]. ولو ذكر الحرف المحذوف فقال: (في أن تنكحوهنّ) لكان المعنى الرغبة في نكاحهن، ولو ذكره فقال: (عن أن تنكحوهنّ) لاقتصر المعنى على الرغبة عن نكاحهنّ والعزوف عنه، ولكن عندما حُذف حرف الجر ولم يعيَّن توسّع المعنى ليحتمل الرغبة في نكاحهن ويحتمل الرغبة عنه.

ومما ذكره الزمخشري أيضًا قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾{الحجر٩٤} فذكر أنه يحتمل أن يراد بهذا التعبير: فاصدع بما تؤمر به من الشرائع، أو فاصدع بأمرك[٩٩]. فإذا كانت (ما) اسمًا موصولاً كان المعنى : فاصدع بما تؤمر به من الشرائع والأحكام، وإذا كانت (ما) مصدرية كان المعنى : فاصدع بأمرك، والمعنيان مرادان .

ولو ذكر العائد فقال : (بما تؤمر به) لكانت (ما) اسمًا موصولاً فحسب، فبحذف العائد توسع المعنى ليحتمل الموصولية والمصدرية .

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ {الأعراف٤٤} فقد قال: ﴿ ما وعدنا ربنا ﴾ بذكر مفعول الفعل،ثم قال بعدها: ﴿ ما وعد ربكم حقًّا ﴾ ولم يقل (ما وعدكم) فلم يذكر المفعول. يذكر الزمخشري أن سبب ذلك هو أن الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد والوعيد وليسوا منكرين لما وعدهم به فقط فكأنه قال:هل

وجدتم وعد ربكم حقًّا؟جاء في (الكشاف): ((فإن قلت: هلا قيل: ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا؟

قلت: حذف ذلك تخفيفًا لدلالة (وعدنا) عليه، ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك))(١٠٠).

ومن الأمثلة الأخرى التي يؤدي الحذف فيها إلى التوسع في المعنى ما ورد ذكره من حذف المصدر وإبقاء صفته نحو قوله تعالى: ﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا ﴾{النساء١٦٠}وقوله: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾{التوبة٨٢}.

تاسعاً : التقديم والتأخير :

قد يفيد التقديم والتأخير توسعًا في الدلالة.ومن أمثلة ذلك ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾{الأنعام١٠٠}، فقد بيّن فائدة تقديم (شركاء) على (الجن) فقال: ((فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك سواء كان ملكًا أم جنّيًّا أم إنسيًّا أم غير ذلك، ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء))(١٠١). بمعنى أن الاستعظام ليس من مجرد جعل الجن شركاء لله، بل من اتخاذ مبدأ الشركاء سواء أكانوا جنًّا أم غير جن، وهذه الفائدة لا نجدها لو قال: (وجعلوا الجن شركاء لله).

وقد ذكرنا إشارة عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الفائدة في مقدمة البحث عندما ذكرنا إشارته إلى ظاهرة الزيادة في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾{المائدة٦٩}.

في هذه الآية تقدم ذكر الصابئين على النصارى. وسبب ذلك عند الزمخشري هو التنبيه

على أن الصابئين يتاب عليهم إن صحّ منهم الإيمان والعمل الصالح من كونهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدّهم غيًّا، وما سُمّوا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها، أي: خرجوا. وعلى هذا فغيرهم أولى بذلك(١٠٢).

ويبين ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) سبب تقديم الصابئين على النصارى في هذه الآية وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾{البقرة٦٢} فيذكر أن سبب تأخير الصابئين في آية البقرة هو أنهم ليسوا أهل كتاب، بخلاف باقي الأصناف فإنهم استحقوا التقديم على (الصابئين) لأنهم أهل كتاب. و((قدّم ذكر الصابئين في سورة المائدة زيادة بيان للغرض المذكور من أنه لا ترتيب في الغاية الأخروية إلا بنظر آخر، لا بحسب الدنيوي والاشتراك فيما قبل الموافاة، بل المستجيبُ المؤمن من الكلّ مخَلَّصٌ والمكذّب متورط، ثم مراتب الجزاء بحسب الأعمال)) (١٠٣).

ثم يقول: إنه لم يقدم ذكر الصابئين على الباقين لمكانة المؤمنين وشرفهم، ولم يقدم ذكرهم على اليهود لأن اليهود كان يفترض أن يكونوا أول المستجيبين، أما النصارى فهم ((أقرب إلى الصابئين من حيث التثليث وسوء نظرهم في ذلك وقصورهم. ثم إنهم لم يجرِ لهم ذكر فيما تقدم هذه الآية بخلاف يهود، فإن من هذه الجهة تقديم يهود عليهم، وإن كان يهود شر الطائفتين)) (١٠٤).

ويقول الخطيب الإسكافي: إن الله تعالى رتّب الطوائف في آية البقرة ((على ما رتبهم عليه في بعثة الرسالة، ثم أتى بذكر الصابئين وهم الذين لا يثبتون على دين وينتقلون من ملة إلى ملة ولا كتابَ لهم كما للطائفتين اللتين ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾{الأنعام١٥٦} فوجب أن يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب. وأما بعد الترتيب فترتيبهم في سورة المائدة . . . ترتيب ثانٍ،فالأول على ترتيب الكتب، والثاني على ترتيب الأزمنة، لأن (الصابئين) وإن كانوا متأخرين على (النصارى) بأنهم لا كتاب لهم، فإنهم مقدّمون عليهم بكونهم قبلهم لأنهم كانوا قبل عيسى عليه السلام)) (١٠٥).

ولي ملاحظتان على كلام الإسكافي:

الملاحظة الأولى: يقول: إن الله تعالى رتّب الطوائف في آية البقرة على ما رتّبهم عليه في بعثة الرسالة، والواضح أنه افتتح بذكر الذين آمنوا وجعلهم أول الطوائف، والمراد بالذين آمنوا هم المؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين(١٠٦)، ورسالته آخر الرسالات وهو خاتم النبيين.

والملاحظة الثانية: يقول: إن ترتيب ذكرهم في آية البقرة على حسب ترتيب الكتب، وفي آية المائدة على حسب ترتيب الأزمنة ولم يبيّن سبب ذلك، فقوله هذا قد يثير سؤالاً هو: لماذا كان ترتيب ذكرهم في آية البقرة على حسب ترتيب الكتب وفي آية المائدة على حسب ترتيب الأزمنة ولم يكن العكس مثلاً ؟

ويذكر الدكتور فاضل السامرائي أن الكلام فيما بعد آية المائدة على ((ذم عقيدة النصارى وتسفيه عقيدة التثليث، فكأن النصارى لم يؤمنوا بالله حقًّا، وإنما هم من صنف المشركين، ويبدأ الكلام عليهم بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ . . .﴾{المائدة ٧٢ ــ ٧٧} فقدم الصابئين عليهم وهو المناسب للمقام ، وليس نحو هذا موجودًا في آية البقرة فجرَت الآية على نسق واحد فأخّر الصابئين وجعلهم في مكانهم بعد الملل))(١٠٧).

عاشراً : العطف بين متغايرين :

قد يقع عطف بين متغايرين، بمعنى أنه يعطف في ظاهر الأمر الاسم أو الفعل على ما يغايره في الإعراب مع أنه يصح إجراؤه عليه، أو أن يكون العطف على غير مذكور في الكلام أو على المعنى، وغير ذلك من مظاهر الاختلاف في العطف، وذلك ــ في الغالب ــ يفيد اتساع دلالة الجملة.

وقد وقف الزمخشري على آيات عديدة فيها ظاهرة العطف بين متغايرين، وذكر ما تفيده هذه الظاهرة من اتساع في دلالة الآية. وسأقف على نماذج مما ذكره .

أولاً ــ عطف الاسم أو الفعل على ما يغايره في الإعراب مع أنه يصح إجراؤه عليه:

قد يقع العطف بين اسمين أو فعلين متغايرين، فيعطف في ظاهر الأمر الاسم المنصوب على المرفوع، أو المرفوع على المنصوب، أو الفعل المجزوم على المنصوب أو غير ذلك من الصور.

فمن عطف الاسم المنصوب على المرفوع قوله تعالى: ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ {البقرة ١٧٧} بعطف ﴿ الصابرين ﴾ على ﴿ الموفون ﴾.

يرى الزمخشري أن كلمة (الصابرين) نصبت على الاختصاص والمدح ((إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال)) (١٠٨) .

وجاء في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) أن ((تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه)) (١٠٩) .

وجاء فيه أيضًا في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾{البقرة٣}: ((قال أبو علي: إذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان، أي للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجدّ في الإصغاء،فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب)) (١١٠) .

إن هذه الظاهرة تعرف في اللغة العربية بظاهرة القطع،والمقصود بها((مغايرة النعت للمنعوت في الإعراب، وذلك بأن يكون المنعوت مرفوعًا ونعته منصوبًا،وقد يكون المنعوت منصوبًا ونعته مرفوعًا،وقد يكون المنعوت مجرورًا فيقع نعته مرفوعًا أو منصوبًا نحو (مررت بمحمدٍ الكريمُ أو الكريمَ) .

ويقع القطع في النعت كثيرًا،وقد يقع أيضًا في العطف نحو قوله تعالى: ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ فعطف بالنصب على المرفوع. ومثله قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾{النساء١٦٢} فعطف بالنصب على المرفوع ثم عاد إلى الرفع))[١١١] .

فالقطع يلفت نظر السامع إلى النعت المقطوع أو العطف المقطوع ويثير انتباهه،وليس كذلك الإتباع،لأن الأصل في النعت أن يتبع المنعوت،كما أن الأصل في المعطوف أن يتبع المعطوف عليه،فإذا خالفت بينهما نبّهت الذهن وحرّكته إلى شيء غير معتاد.

وما أجمل تشبيه من شبّه هذه الظاهرة باللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق يثير انتباهك ويدعوك إلى التعرف على سبب وضعه[١١٢] .

جاء في (حاشية يس على التصريح) : ((قال السعد في حواشي الكشاف : فإن قلت : ما وجه دلالة مثل هذا النصب أو الرفع على ما يقصد به من مدح أو ذم أو ترحم ؟

قلت: إن في الافتنان لمخالفة الإعراب وغير المألوف زيادة تنبيه وإيقاظ للسامع وتحريك من رغبته في الاستماع سيّما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ فإنه أدل دليل على الاهتمام))[١١٣] .

وعلى هذا نقول: إنه عطف (الصابرين) المنصوب على (الموفون) المرفوع وذلك للتوسع في المعنى، فهو يفيد العطف والاهتمام بالصبر وإظهار فضله، فالقطع يفيد ما لا يفيده الإتباع كما ذكر الزمخشري .

ومن عطف الاسم المرفوع على المنصوب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾{المائدة٦٩} بعطف ﴿ الصابئون ﴾ على اسم إنّ .

جاء في (الكشاف) : ((﴿ والصابئون ﴾: رفع على الابتداء وخبره محذوف،والنية بـه التأخير عما في حيّز (إنّ) من اسمها وخبرها،كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا،والصابئون كذلك . . . فإن قلت : فقوله (والصابئون) معطوف لا بدّ لـه مـن معطوف عليه فما هو ؟ قلت : هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله (إن الـذين آمنوا) الخ،ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها)) (١١٤) .

وجاء في (الانتصاف من الكشاف) : ((ولكن ثم سؤال متوجّه وهو أن يقال : لو عطف الصابئين ونصبَه كما قرأ ابن كثير لأفاد أيضًا دخولهم في جملة المتوب عليهم ولَفُهِمَ من تقـديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من أن هؤلاء الصابئين ـــ وهم أوغل الناس في الكفر ـــ يتاب عليهم فما الظن بالنصارى،ولكان الكلام جملة واحدة بليغًا مختصرًا والعطف إفـرادي فلمَ عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين ؟وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الإفرادي ؟

ويجاب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الـصنف، لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف مفردات، وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد، وأما الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي وتبقى بقية الأصناف مخصـصة بـالخبر المعطوف به، ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلاً (والصابئون كذلك) فيجـيء كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة لأنه لما استقر بعد الأصـناف مـن قبول التوبة فكانوا أحقّاء بجعلهم تبعًا وفرعًا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخير)) (١١٥).

ويرى الدكتور فاضل السامرائي ((أن ثمة فرقًا في المعنى بين الرفع والنصب، فإن العطف بالنصب على تقدير إرادة (إنّ) والعطف بالرفع يكون على غير إرادة (إنّ)، ومعـنى هـذا أن العطف بالرفع غير مؤكَّد، فعلى هذا يكون المعطوف في قولك: (إنّ محمدًا مـسافرٌ وخالـدًا) مؤكَّدًا، بخلاف ما لو قلت: (إنّ محمدًا مسافرٌ وخالدٌ) فإن المعطوف غير مؤكَّد)) (١١٦).

وعلى هذا رفع (الصابئون) لأنه معطوف على غير إرادة التوكيد، أي أن المعطوف عليه مؤكَّد بخلاف المعطوف ((وذلك أن الصابئين لما كانوا أبعد المذكورين ضلالاً ـــ كمـا ذكـر المفسرون ـــ خولف في توكيدهم فكانوا أقل توكيدًا)) (١١٧).

ومن عطف الفعل المجزوم على المنصوب قوله تعالى: ﴿ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾{المنافقون١٠} بعطف (أكنْ) المجزومة على (أصّدّقَ) المنصوبة. وقد كان الأصل أن يقول: (فأصّدّقَ وأكونَ من الصالحين) .

يرى الزمخشري أن ﴿ أكنْ ﴾ معطوف على محل ﴿ فأصّدّقَ ﴾، كأنه قيل : إن أخرتني أصّدّقْ وأكنْ[١١٨].

وهو بهذا التقدير يشير إلى اتساع دلالة الآية . يقول ابن عاشور: ((فأما الجمهور فقرأوه مجزومًا بسكون آخره على اعتباره جوابًا للطلب مباشرة لعدم وجود فاء السببية فيه، واعتبار الواو عاطفة جملة على جملة وليست عاطفة مفردًا على مفرد، وذلك لقصد تضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن فعل الشرط . فتقديره : إن تؤخرْني إلى أجل قريب أكنْ من الصالحين، جمعًا بين التسبب المفاد بالفاء، والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل . . . وذلك يرجع إلى حسن الاحتباك، فكأنه قيل: لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصّدّقَ وأكونَ من الصالحين، إن تؤخرْني إلى أجل قريب أصّدّقْ وأكنْ من الصالحين))[١١٩].

ومعنى عبارة ابن عاشور أنه جاء بالمعطوف عليه منصوبًا على إرادة معنى السبب، وجاء بالمعطوف مجزومًا على إرادة معنى الشرط، فجمع بين معنيي السبب والشرط والله أعلم.

ثانيًا ــ العطف على مقدّر غير مذكور في الكلام أو على المعنى:

وذلك نحو قــــــــوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾{الروم٤٦}فقد عطف في ظاهر الأمر﴿ وليذيقَكم من رحمته ﴾ على﴿ مبشرات ﴾ وهو لا يصح، لأن قوله: ﴿ وليذيقَكم من رحمته ﴾ بيان علة،و(مبشرات)حال،ولا تعطف العلة على الحال، ولذا قدّر بأنه عطف على المعنى،كأنه قيل:ليبشركم وليذيقكم[١٢٠]. جاء في(البحر المحيط):((﴿ وليذيقكم ﴾ عطف على معنى ﴿مبشرات﴾، فالعامل ﴿ أن يرسل ﴾ ويكون عطفًا على التوهم، كأنه قيل: ليبشروكم، والحال والصفة قد يجيئان وفيهما معنى التعليل . . . وقيل: ما يتعلق به اللام محذوف، أي: ولكنّا أرسلناها))[١٢١].

ومعنى ذلك أنه عطف في ظاهر الأمر العلة على الحال ليكسب معنيي الحال والعلة

فتتسع الدلالة .

ومنه قوله تعالى: ﴿ إنّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا ﴾{الصافات٦،٧} فإن ﴿حفظًا﴾ لا يصح عطفه على ما قبله، ولذا قُدّر بما يقتضيه المعنى فجُعل مفعولاً مطلقًا لفعل مقدّر معطوف على قوله: ﴿ زينّا﴾ أي: وحفظناها حفظًا .

ويجوز فيها وجه آخر وهو أن يكون مفعولاً له على المعنى، لأن المعنى سيكون حينئذٍ: إنّا خلقنا الكواكب زينةً للسماء وحفظًا من الشياطين .

يقول الزمخشري : ((﴿وحفظًا﴾ مما حمل على المعنى، لأن المعنى : إنّا خلقنا الكواكب زينةً للسماء وحفظًا من الشياطين . . . وقيل : وحفظناها حفظًا))(١٢٢).

ومثلها قوله تعالى : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ﴾{فصلت١٢} فإنها تحتمل كلا المعنيين المذكورين آنفًا . يقول الزمخشري : ((﴿وحفظًا﴾: وحفظناها حفظًا، يعني من المسترقة بالثواقب، ويجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى، كأنه قال : وخلقنا المصابيح زينةً وحفظًا))(١٢٣).

فهو إذن يحتمل المفعولية المطلقة والمفعول له، فهو بدل من أن يقول: (وزينّا السماء الدنيا بمصابيح وحفظناها حفظًا، أو وخلقناها زينةً وحفظًا) جمع كلا المعنيين بأوجز تعبير.

وقد لا يصح أن ينسب إلى المعطوف ما نسب إلى المعطوف عليه فيقدّر له ما يناسبه نحو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾{الحشر٩}فإن الإيمان لا يتبَوَّأ وإنما يُعتقَد، فجمع معنيي التبوُّء والاعتقاد معًا، يقول الزمخشري : ((فإن قلت : ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوّأوا الإيمان ؟ قلت : معناه تبوّأوا الدار وأخلصوا الإيمان، كقوله:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

أي: وجعلوا الإيمان مستقرًّا وموطنًا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك))(١٢٤).

حادي عشر : احتمال الخبر والإنشاء في التعبير الواحد:

قد يحتمل التعبير الواحد أن يكون خبريًّا وإنشائيًّا كما ذكرنا في مقدمة البحث من قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾{الهمزة١}فقد ذكرنا أن هذا التعبير يحتمل أن يكون خبريًّا ودعائيًّا،فقد يحتمل أنه أخبر بما سيلاقونه من عقوبة في الآخرة بسبب همزهم ولمزهم، ويحتمل أن يراد الدعاء عليهم بالويل والهلاك،والمعنيان مرادان،فقد دعا عليهم بالعذاب الشديد،كما أنه أخبر بما سيصيبهم ما دعا عليهم به .

ومما ورد ذكره في الكشاف قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾{البقرة٢٢٨}، فهذا التعبير ((خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام: وليتربّص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، وكأنهن امتثلن الأمر بالتربص)) [١٢٥].

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾{البقرة٢٣٣} فهو أيضًا خبر في معنى الأمر المؤكد[١٢٦]، ((وقد أخرج الأمر مخرج الخبر للدلالة على أنهن يفعلن ذلك امتثالاً لأمر الله، وهذا شأنهنّ. وهو أبلغ من صريح الأمر . ونظير هذا قولنا: (تذهب إلى فلان وتخبره كذا وكذا) على معنى اذهب إليه. وهو ألطف من الأمر الصريح، إذ لا يراد أحيانًا المواجهة بالأمر، بل يخرج مخرج الخبر تلطفًا بالسامع أو إكرامًا له)) [١٢٧]. جاء في (شرح شذور الذهب) في الآيتين المذكورتين آنفًا: ((وهذان الفعلان خبريان لفظًا طلبيان معنى، ومثلهما (يرحمك الله) . وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر التوكيد والإشعار بأنهما جديران بأن يتلقّيا بالمسارعة، فكأنهن امتثلن، فهما مخبر عنهما بموجودين)) [١٢٨]. وجاء في (تفسير أبي السعود) : ((وهو أمر أُخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقق مضمونه)) [١٢٩].

وقد يكون الخبر في معنى النهي كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ ﴾ {البقرة٨٣}. جاء في الكشاف: (((لا تعبدون) إخبار في معنى النهي، كما تقول: (تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه. وتنصره قراءة عبد الله وأُبَيّ (لا تعبدوا))) [١٣٠].

ثاني عشر: الاتساع في معاني حروف الجر:

من المعروف أن لحروف الجر معاني متعددة، فـ(من) تأتي لابتداء الغاية وللتبعيض ولبيان الجنس ولغير ذلك، و(الباء) تأتي للإلصاق والاستعانة والسببية وغيرها من المعاني، و(على) تأتي للاستعلاء وللمصاحبة والمجاوزة والتعليل ولغير ذلك من المعاني. وهكذا بالنسبة لباقي حروف الجر.

وقد يتسع معنى الآية باتساع معنى حرف الجر، من ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾{المؤمنون٢٦} فقد تحتمل الباء في قوله: (بما) أن تكون سببية أو تكون بدلية، فإذا كانت سببية فالمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي، وإذا كانت بدلية فالمعنى: انصرني بدل ما كذّبون، أي: أبدلني من غمّ تكذيبهم سلوة النصر عليهم(١٣١).

وقد ذكر الرازي هذين المعنيين ناقلاً نص الزمخشري بحروفه دون أن يشير إليه(١٣٢).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾{المائدة٧٣} فـ((من) في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ للبيان كالتي في قوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾{الحج٣٠} . . . ويجوز أن تكون للتبعيض، على معنى: ليمسّنّ الذين بقوا على الكفر منهم)) (١٣٣).

وبعد:

فيمكننا أن نجمل نتائج البحث بما يأتي:

ــ ظاهرة الاتساع في دلالة الألفاظ والتراكيب من الظواهر التي عني بها القرآن الكريم أيما عناية، فنجده يوجز في التعبير ويوسع في المعنى.

ــ للتوسع في المعنى صور كثيرة، فقد يكون التوسع في معنى اللفظة وفي صيغتها وقد يكون في معنى التركيب . . . إلى غير ذلك من الصور التي ورد ذكرها في البحث.

ــ من أوائل من التفت إلى هذه الظاهرة الزمخشري، حيث ذكر الصور التي تم الوقوف عليها في هذا البحث في أثناء تفسيره القرآن الكريم تفسيرًا لغويًّا وبلاغيًّا.

ولله الحمد أولاً وآخرًا

الهوامش والتعليقات

(١) ينظر التوسع في المعنى ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ١٦٤.

(٢) الخصائص ــ ابن جني ٢/٤٩٠ ــ ٤٩١ . والعائر: الرمد، والباغز: النشاط.

(٣) ينظر الخصائص ٣/١٧٢ . السجحاء: الطويلة الظهر، وأراد بها السفينة.

(٤) دلائل الإعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني ٢٨٧ ــ ٢٨٨ .

(٥) ينظر الكشاف ١/٢٦٤ ــ ٢٦٥.

(٦) مجاز القرآن ــ أبو عبيدة معمر بن المثنى ١/٣٥.

(٧) ينظر البحر المحيط ــ أبو حيان النحوي ١/١٩٩.

(٨) ينظر معاني القرآن ــ الفراء ١/٢٠.

(٩) ينظر تفسير الرازي المعروف بـ(مفاتيح الغيب) ــ الفخر الرازي ٢/١٤٩ ــ ١٥٠.

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن ــ الراغب الأصبهاني٥٣٦.

(١١) ينظر الكشاف٢/٥٣٥.

(١٢) م.ن.

(١٣) م.ن.

(١٤) م.ن ٤/٤٢ .

(١٥) معاني القرآن ٣/١١١.

(١٦) الكشاف ٤/٤٢، وينظر القاموس المحيط ــ الفيروزابادي (مادة نهر) ٢/١٥٠، ولسان العرب ــ ابن منظور (مادة نهر) ١٤/١٠٣.

(١٧) ينظر روح المعاني ٢٧/١٤٦ .

(١٨) الكشاف ٤٢/٤، وينظر لسان العرب ٣٠٣/١٤، وتاج العروس ــ الزبيدي (مــادة نهــر) ٥٩١/٣.

(١٩) الجملة العربية والمعنى ١٦٦.

(٢٠) ينظر الكشاف ٢٥٥/٤.

(٢١) م.ن.

(٢٢) م.ن.

(٢٣) التفسير البياني للقرآن الكريم ــ الدكتورة عائشة عبد الرحمن ١٧٣.

(٢٤) م.ن ١٧٢.

(٢٥) ينظر تفسير الرازي١٨٠/٣١

(٢٦) روح المعاني ــ أبو الفضل الآلوسي٢٤١/٢٩.

(٢٧) الكشاف٢٩٠/٤.

(٢٨) م. ن ٢٩٠/٤ ــ ٢٩١.

(٢٩) لسان العرب (مادة كثر) ٣٧/١٢ .

(٣٠) على طريق التفسير البياني ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ٨٣.

(٣١) تفسير الرازي ١٢٩/٣٢ .

(٣٢) ينظر الكشاف١٩١/٤.

(٣٣) لمسات بيانية في نصوص من التنــزيل ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي٢١١.

(٣٤) ينظر الكشاف٢٧٤/١.

(٣٥) م.ن١٣٤/٢.

(٣٦) البحر المحيط ٢٣٧/٥.

(٣٧) الكشاف ٣٥٦/١، وينظر تفسير الرازي٢٩/٦.

(٣٨) البيت كاملاً : ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت   فإنما هي إقـــبال وإدبـــار
(ديوان الخنساء٣٨٣).

(٣٩) الكشاف ٣٥٦/١، وينظر تفسير الرازي ٢٩/٦، والبحر المحيط ٣٧٩/٢.

(٤٠) الخصائص ٢٦٢/٣.

(٤١) الكشاف٢٦٨/٤.

(٤٢) التعبير القرآني ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ٣٤٠.

(٤٣) ينظر الكشاف٢٦٩/٤.

(٤٤) التعبير القرآني٣٤٠.

(٤٥) ينظر الكشاف٣٠٠/٢ ــ ٣٠١.

(٤٦) م.ن ٣٧٠/١.

(٤٧) الكشاف ٣٧١/١، وينظر تفسير الرازي١٣١/٦، وفتح القدير ــ الشوكاني٣٣٦/١، ومحاسن التأويل ــ جمال الدين القاسمي٥٧١/١.

(٤٨) الكشاف٤٠٤/١، وينظر البحر المحيط٧٤٠/٢ ــ ٧٤١، وفتح القدير ٤١٣/١.

(٤٩) البرهان في علوم القرآن ــ الزركشي ٢٠٧/٢ ــ ٢٠٨.

(٥٠) الكشاف ٢٤٢/١، وينظر محاسن التأويل ٢٦٠/١، والجامع لأحكـــام القـــرآن ــ القـــرطبي ٢٣٢/١.

(٥١) الكشاف ١٤/٢، وينظر التحرير والتنوير ٦٦/٦ ــ ٦٧.

(٥٢) الكشاف ٦٠٥/١، وينظر البحر المحيط ٢٢٣/٤، والبرهان في علوم القرآن ٣٤٥/١.

(٥٣) الكشاف ٣/١٧٦، وينظر التحرير والتنوير ـ ابن عاشور ٢٠/٥٤.

(٥٤) المصدران السابقان .

(٥٥) ينظر الكشاف ٣/١٧٦.

(٥٦) ينظر جامع البيان٦/٣٥، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٦٤.

(٥٧) الكشاف ١/٣٠٤، وينظر تفسير الرازي ٣/٢٤٤، وتفسير البيضاوي المعروف بـ(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ـ البيضاوي ٢٣.

(٥٨) الكشاف ١/٥٨١.

(٥٩) ينظر البحر المحيط ٤/١٣٣.

(٦٠) ينظر الكشاف ٢/٣٥٢، و ٣/٢١٩.

(٦١) الكشاف ٢/٣٥٢.

(٦٢) وهو مصدر الفعل الماضي (أرى) الذي مضارعه (يُري) .

(٦٣) البحر المحيط ٦/٣٦٤.

(٦٤) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ـ محمد الخضري الشافعي ١/٤٣٩، وينظر شرح التصريح على التوضيح ـ خالد الأزهري ١/٣٣٥، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ـ محمد علي الصبان ٢/١٢٣.

(٦٥) ينظر معاني النحو ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ٢/٦٥٥.

(٦٦) شرح الكافية في النحو ـ رضي الدين الإستراباذي ١/٢٠٩.

(٦٧) ينظر روح المعاني ١٣/١٦٨، وفتح القدير ٣/٩٠.

(٦٨) الكشاف ٢/٣٧٨، وينظر تفسير الرازي ١٩/١٣٢، وروح المعاني ١٣/٣٢٠.

(٦٩) الكشاف ١/٢٧٨.

(٧٠) م.ن ٣/٥١١.

(٧١) روح المعاني ١/٣٩٨.

(٧٢) الكشاف ٣/٢٨٣، وينظر البحر المحيط ٨/٥٢٩، وروح المعاني ٢٢/١٧٤.

(٧٣) تفسير الرازي ٢٥ /٢٥٠، وينظر تفسير البيضاوي ٣٩٤ ـــ ٣٩٥.

(٧٤) ينظر الكشاف ٣/٤٣٩.

(٧٥) م.ن ٤/٢٩٦.

(٧٦) م.ن ٣/٤، وينظر تفسير الرازي ٢٣/٥.

(٧٧) ينظر الكشاف ٢/٢٦٢.

(٧٨) م.ن ٢/٣٩٤.

(٧٩) م.ن ٢/٣٢.

(٨٠) م.ن ٤/٢١٥.

(٨١) الكشاف ١/٦٠٥، وينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٢/١٧٦، والبحر المحيط ٤/٢٢١، وتفسير البيضاوي ٢/٣١٣.

(٨٢) الكشاف ٣/٤٥٣ ـــ ٤٥٤.

(٨٣) ينظر الجملة العربية ٢٠١.

(٨٤) الكشاف ٤/١٣٧، وينظر المحرر الوجيز٥/٣٤٠ ـــ ٣٤١، و التحرير والتنوير ٢٩/٢٨ ـــ ٢٩.

(٨٥) ينظر مغني اللبيب ـــ ابن هشام ٢/٨٩٧ .

(٨٦) الكشاف ٢/٤٨١.

(٨٧) حاشية الجرجاني على الكشاف ١/١٢٦.

(٨٨) المصدر نفسه .

(٨٩) الجملة العربية والمعنى ١٨٥ .

(٩٠) ينظر الكشاف ٣٣٨/١.

(٩١) مفردات ألفاظ القرآن ٢٠٥.

(٩٢) الكشاف ٢٦٣/١، وينظر تفسير الرازي ٨٧/٦، والبحر المحيط ٤٤٧/٢، وروح المعاني ١٩٥/٢.

(٩٣) البحر المحيط ٤٤٧/٢.

(٩٤) ينظر الكشاف ٤٩٥/١، و التحرير والتنوير ١٤/٤.

(٩٥) ينظر الكشاف ٧٩/٣، و البحر المحيط ٧٦/٨.

(٩٦) الكشاف ١٥٦١/٤.

(٩٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/١٨.

(٩٨) الكشاف ٥٦٧/١، وينظر المحرر الوجيز١١٨/٢، و البحر المحيط ٨٤/٤، وروح المعاني ٢٣٥/٥.

(٩٩) الكشاف ٣٩٩/٢.

(١٠٠) الكشاف ٨٠/٢ ــ ٨١.

(١٠١) الكشاف ٤٠/٢.

(١٠٢) م.ن ٦٣١ ــ ٦٣٢.

(١٠٣) ملاك التأويل ٧٦/١.

(١٠٤) م.ن ٧٦/١ ــ ٧٧.

(١٠٥) درة التتريل ٢١.

(١٠٦) ينظر تفسير الرازي٢/١١٣، وتفسير البيضاوي١/٣٣٣، وفتح القدير١/١٤١، وروح ا عا ١/٤٤٠ .

(١٠٧) معاني النحو ١/٣٧٠.

(١٠٨) الكشاف ١/٣٣١.

(١٠٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ــ أبو السعود محمد العمادي ١/٣٤١.

(١١٠) م.ن ١/٧٣.

(١١١) معاني النحو٣/١٨٧.

(١١٢) م.ن.

(١١٣) حاشية يس على التصريح ــ يس العليمي ٢/١١٧.

(١١٤) الكشاف ١/٦٣١.

(١١٥) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ــ محمد بن المنيّر الإسكندري١/٦٣٢.

(١١٦) معاني النحو ١/٣٦٧.

(١١٧) م.ن ١/٣٦٩.

(١١٨) ينظر الكشاف ٤/١١٢.

(١١٩) التحرير والتنوير ٢٨/٢٢٧.

(١٢٠) الكشاف ٣/٢٢٥.

(١٢١) البحر المحيط ٨/٣٩٨.

(١٢٢) الكشاف ٣/٣٣٥، وينظر تفسير البيضاوي ٥/٥، وروح المعاني ٢٣/١٠٢.

(١٢٣) الكشاف ٣/٤٤٧، وينظر روح المعاني ٢٤/١٦٠.

(١٢٤) الكشاف ٤/٨٣.

(١٢٥) الكشاف ٣٦٥/١.

(١٢٦) م.ن ٣٦٩/١.

(١٢٧) معاني النحو ٣٢٣/٣ ــ ٣٢٤.

(١٢٨) شرح شذور الذهب ــ ابن هشام٦٩.

(١٢٩) تفسير أبي السعود ٤٠٥/١ .

(١٣٠) الكشاف١/٢٩٢ ــ ٢٩٣.

(١٣١) ينظر الكشاف٣/٣٠.

(١٣٢) ينظر تفسير الرازي٢٣/٩٤.

(١٣٣) الكشاف١/٦٣٤.

المصادر والمراجع

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بـ(تفسير أبي السعود)ـ أبو السعود محمد بن محمد العمادي ـ تحقيق محمد صبحي حلّاق ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

ـ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ـ محمد بن المنيّر الإسكندري ـ طبع بهامش الكشاف.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ناصر الدين عبد الله الشيرازي البيضاوي ـ تحقيق عبد القادر عرفات ـ دار الفكر ـ بيروت١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

ـ البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية بمصر ـ الطبعة الأولى١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

ـ تاج العروس في شرح القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي ـ مكتبة الحياة ـ بيروت، تصوير الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة١٣٠٦هـ.

ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور ـ مؤسسة التاريخ ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ التعبير القرآني ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار عمار ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ التفسير البياني للقرآن الكريم ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة السابعة.

ـ الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق وتهذيب الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني ـ دار الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

ــ الجملة العربية والمعنى ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ــ دار ابن حزم ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.

ــ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ــ محمد الخضري الشافعي ــ شرح وتعليق تركي فرحان المصطفى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨م.

ــ حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف ــ أبو الحسن الجرجاني ــ طبعت مع تفسير الكشاف.

ــ حاشية الصبان على شرح الأشموني ــ محمد علي الصبان ــ دار الفكر ــ بيروت.

ــ حاشية يس على التصريح ــ يس بن زين الدين العليمي ــ طبع مع (شرح التصريح على التوضيح) لخالد الأزهري ــ دار الفكر ــ بيروت.

ــ الخصائص ــ أبو الفتح عثمان بن جني ــ تحقيق محمد علي النجار ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

ـ درة التنزيل وغرة التأويل ــ الخطيب الإسكافي ــ نشر عادل نويهض ــ دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م.

ــ دلائل الإعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني ــ قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ــ مكتبة الخانجي بالقاهرة .

ــ ديوان الخنساء ــ شرح أحمد بن يحيى ثعلب ــ تحقيق الدكتور أنور سويلم ــ دار عمار ــ الأردن ــ الطبعة الأولى١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨.

ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي ــ دار الفكر ــ بيروت.

ــ شرح التصريح على التوضيح ــ الشيخ خالد الأزهري ــ دار الفكر ــ بيروت .

ــ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ــ ابن هشام الأنصاري ــ شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ــ الطبعة الحادية عشرة ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م.

ــ شرح الكافية في النحو ــ رضي الدين الإستراباذي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ــ محمد بن علي الشوكاني ــ تحقيق سيد إبراهيم ــ دار الحديث ــ القاهرة.

ــ القاموس المحيط ــ مجد الدين الفيروزابادي ــ دار الفكر ــ بيروت ١٣٩٨هــ ــ ١٩٧٨م.

ــ الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ــ دار الفكر بيروت ــ الطبعة الأولى ١٣٩٧هــ ١٩٧٧م.

ــ لسان العرب ــ ابن منظور ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة.

ــ لمسات بيانية في نصوص من التتريل ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ــ دار عمار ــ الأردن ــ الطبعة الأولى١٤٢٠هــ ــ ١٩٩٩م.

ــ مجاز القرآن ــ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ــ تعليق الدكتور فؤاد سزكين ــ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

ــ محاسن التأويل ــ محمد جمال الدين القاسمي ــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٣٩٧هــ ــ ١٩٧٧م.

ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ ابن عطية الأندلسي ــ تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٣هــ ــ ١٩٩٣م.

ــ معاني القرآن ــ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ــ تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي ــ مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة١٣٧٤هــ ــ ١٩٥٥م.

ــ معاني النحو ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ــ الجزءان الأول والثاني في مطبعة التعليم العالي في الموصل ١٩٨٦ ــ ١٩٨٧م، والجزءان الثالث والرابع في مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ــ بغداد ١٩٩١م.

ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ــ ابن هشام الأنصاري ــ تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ــ مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ــ الطبعة الخامسة.

ــ مفاتيح الغيب المعروف بــ(تفسير الرازي) ــ الفخر الرازي ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤٢٣ هــ ــ ٢٠٠٢م.

ــ مفردات ألفاظ القرآن ــ الراغب الأصبهاني ــ تحقيق محمد خليل عيتاني ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤٢٠هــ ــ ١٩٩٩م.

ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ـ أحمد بن الزبير الغرناطي تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.